عبر وعظات مستوحاة من حرب يهود على غزة!!

الخير يكمن في الشر

إن المؤمن ينبغي أن يؤسس عقيدته على أسس راسخة، وثابتة لا تتزعزع؛ لأن التغيير الحقيقي الذي تقتضيه حكمة الله تعالى، وتُثَبِّتُه سُنَنُهُ في خلقه يبدأ من قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾؛ وعليه، ينبغي أن ننظر نحن المسلمين للأمور من زاوية العقيدة الإسلامية الصافية، ومما ركَّزه ربُّنا سبحانه في نفوس عباده المؤمنين حيث قال عز وجل: ﴿**وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾، وكذلك: ﴿**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾.

وَيَكْتُبُ اللهُ خَيْراً أَنْتَ تَجْهَلُهُ ... وَظَاهِرُ الأَمْرِ حِرْمَانٌ مِنَ النِّعَمِ

وَلَو عَلِمْتَ مُرَادَ اللهِ مِنْ عِوَضٍ ... لَقُلْتَ حَمْداً إِلهِي وَاسِعَ الكَرَمِ

فَسَلِّمِ الأَمْرَ لِلرَّحْمَنِ وَارْضَ بِهِ ... هُوَ البَصِيرُ بِحَالِ العَبْدِ مِنْ أَلَمِ

وَمَرَدُّ ذلك أن الله سبحانه يدبر الأمر، وتدبيره بما تقتضيه حكمته؛ ولأن الإنسان لا يحيط بعلم ربه إلا بما شاء سبحانه؛ فإنه لا يدرك الخير في كثير من الأحداث، وهو – بناء عليه – لا يدرك حكمة الله من تشريعاته، ولا يدرك حكمة الله من الأحداث الجارية؛ لذلك تراه تائها حائرا، فأراد ربنا من خلال الآيات الكريمة أن يُذهب عنا هذا التيه، وتلك الحيرة:

– فقال في وصف تشريعه: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾، فكان المطلوب منا أن نخضع لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾.

– وقال في وصف الأحداث: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾، فكان المطلوب منا أيضا أن نخضع لقوله تعالى: ﴿**لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾.

والآن، نتناول أحداث غزة لنلتمس بعض الخير مما نراه شرا، فنقول وبالله التوفيق: قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾.

سنتحدث باختصار وعلى شكل نقاط عن بعض المحاور الواجب علينا عرضها للأمة فيما يتعلق بالخير الذي أتت به هذه الحرب الدائرة على أهلنا في غزة العزة، وخصوصاً لنا نحن حملة الدعوة، على الرغم من الألم الذي يعتصر قلوبنا لما يجري هناك، إلا أنه فتح لنا بصيص أمل في هذا الاقتتال الدائر بين يهود وأهلنا، وذلك بحسب الأدلة، وشواهد الواقع التي نستقيها من هذه المعركة.

أولا: أعادت هذه الأحداث التذكير بمنزلة الشهيد عند الله تعالى، ومنزلة الرباط في سبيل الله؛ أما عن منزلة الشهيد فإن الشهادة هي أعظم خير يناله المسلم في الحياة الدنيا، يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**ما أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا وله ما علَى الأرْضِ مِن شيءٍ إلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا، فيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ**» أي لما يراه من أجر عظيم في تلك الشهادة.

نعم أعادت لنا هذه الأحداث قيمة الجهاد، والاستشهاد في سبيل الله حتى رأينا أهلنا في غزة كيف يكبّرون، ويهلّلون كلما سقط منهم شهيد، ونسمع قولهم: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً على اصطفائك لنا؛ لنكون من الشهداء، خذ من دمائنا يا ربنا حتى ترضى!!

وأما عن فضل الرباط فعنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ**». إن فلسطين أرض رباط إلى قيام الساعة، وكل من ثبت عليها فهو مرابط في سبيل الله تعالى، وقد رأينا كيف يرفض أهل غزة التهجير من أرضهم، ولو أدى ذلك لقتلهم جميعاً؛ لأنهم يعتبرونها أرض رباط.

ثانيا: أعادت هذه الأحداث فكرة الجهاد التي حاول الغرب طمسها في أذهان الأمة؛ حيث يقول تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾. ويقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾.

هذا المفهوم الذي أرعب الغرب على مدار ألف وثلاثمائة عام عندما كانت لنا دولة تصول وتجول لنشر الإسلام، وما زالت أجراس خطورته تقرع في آذان الغرب ليومنا هذا، حتى بذلوا كل جهودهم لطمس هذا المفهوم في مناهجنا عن طريق عملائهم في المنطقة من حكام، وَكُتّاب، ومثقفين، وكذلك تشويه صوره الجهاد عن طريق حركات تحررية عميلة قامت بأعمال لا تمت للجهاد بصلة، وكذلك محاولتهم طمس هذا المفهوم على المنابر، وفي الخطب، والبيانات، واستبدال هذا المفهوم بحركة تَحَرُّرِية، أو عمل تَحَرُّرِي، أو فكرة قتال الدفع، أو النضال، أو المقاومة، ومثل هذه الألفاظ، كل ذلك حتى لا تُذكر كلمة جهاد، ولو استطاعوا أن يحذفوها من القرآن لفعلوا!!

ثالثا: لفتت هذه الأحداث أنظار الجيل المسلم الجديد لطبيعة الصراع الدائر بيننا وبين المحتل المغتصب لأرض المسلمين. وأقصد بالجيل هنا ليس الجيل الذي نشأ في داخل الأرض المحتلة فلسطين؛ لأن هذا الواقع ملموس لديهم يعيشونه كل يوم مع الحواجز، والإغلاقات، والمنع والتنكيل، والملاحقة. وهو الذي كانت تراهن عليه يهود؛ أن الكبار يموتون، والصغار يتناسون، حتى وجدوا أن مقولتهم لم تتحقق، وأن الجيل الجديد هو من يقاوم المحتل... ولكن أقصد بالجيل الجديد هنا من يعيشون خارج فلسطين سواء من أصول فلسطينية أو غير فلسطينية. هذا الجيل الذي ما كان

يعرف أصله وفصله ولا طبيعة عدوه، وليس لديه علم عمَّن احتل أرضه، ومن سلب أقصاه، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، لا يعرف سوى أنه أردني؛ لأنه يعيش في الأردن، أو سوري؛ لأنه يعيش في سوريا، أو لبناني؛ لأنه يعيش في لبنان، فأحيت هذه الحرب في هذا الجيل حبه لفلسطين وللأقصى، وكرهه ليهود، وأنه لا سلام معهم، ولا صلح بيننا وبينهم، وكل مطبع معهم شريك لهم في الإجرام، وخائن لله، ولرسوله، وللمؤمنين.

فهذا الجيل من ذوي الأصول الفلسطينية، ومن غيرهم عرفوا طبيعة الصراع، وحقيقة المحتل، وما هو أساس القضية؛ أنها قضية عقائدية، وعرفوا غدر يهود، ومكرهم، وعدم رحمتهم للشجر، ولا للحجر، ولا للطفل، ولا للشيخ، ولا للمرأة، أو المريض، حتى أدرك هذا الجيل أن هناك أرضاً للمسلمين يحتلها يهود، ويجب علينا تحريرُها.

رابعا: إظهار هشاشة كيان يهود الذي روّجَت له الأنظمة العميلة على أنه الجيش الذي لا يقهر!! هذه المقولة التي صَدَّعَ بها رؤوسنا حكامٌ عملاء باعوا أنفسهم للكافر، سواء أمريكا، أو بريطانيا، أو غيرهما من الدول المستعمرة؛ ليجدوا مبرراً لتخاذلهم أمام شعوبهم، فقد كُشفت هذه المؤامرة، وتبيّن ضعف كيان يهود، وضعف عقيدتهم القتالية، إن كانت لديهم عقيدة قتالية!! وظهرت هشاشة جنوده، وهشاشة معداته القتالية التي يختبئ خلفها مقاتل جبان لا يمتلك القدرة القتالية وجها لوجه، ولم يعد هناك عذرٌ لجندي أو لضابط في الجيوش. إن هذا الجيش الذي قالوا عنه: إنه لا يقهر وإنه يمتلك أسطولاً حربياً كبيراً ومتقدماً، أصبح الآن يقهر، كما لاحظنا، ورأينا كيف فشل، وسقط تحت ضربات المجاهدين!!

خامسا: لقد رفعت هذه الأحداث معنوية الأمة القتالية، هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس، وهي بإذن الله قادرة على دحر هذا الكيان، ودحر هذا العدوان، وذلك بالمطالبة بفتح الحدود لمواجهة يهود بصدورهم العارية، وحبهم للجهاد، والاستشهاد في سبيل الله تعالى، وهذا التعطش لكنس يهود من المنطقة، وتحرير كل فلسطين، وصيحات التكبير تعلو كل الأصوات، والاعتصامات، والمسيرات تملأ الساحات، إن كل ذلك ليدل دلالة واضحة على الحقد الذي يملأ صدور المؤمنين على إخوان القردة والخنازير، قتلة الأنبياء والمرسلين!!

فنجد الأمة اليوم قد نفضت عن كاهلها غبار الجبن والكسل، وباتت تتوق إلى اليوم الذي كانت فيه قامة بين الأمم وعملاقاً فكرياً يحسب له ألف حساب وحساب، كيف لا، وهي تملك أعظم فكرة، وأنقى وأصفى عقيدة، مصدرها الخالق سبحانه وتعالى، وليس ذلك إلا للأمة الإسلامية. فبالرغم مما مورس عليها من أنواع الكذب، والتضليل، والدجل، والخداع، وبالرغم مما أنفقه الكافر المستعمر من أموال، وجهود؛ لكي يفصل المسلمين عن بعضهم، وجعل الأمة حارات، وكنتونات سماها دُولاً، إلا أن أحداث غزة أبانت المعدن الحقيقي للأمة الإسلامية، فمشاعر الأمة الآن واحدة، والتي مبعثها العقيدة الإسلامية، فالله سبحانه أَلَّفَ بينها، فلم تفلح براميل سايكس وبيكو، ولا الأرقام الوطنية، ولا العبارات التي دفع الكافر ثمناً عظيماً لأجل أخذها، والدفاع عنها؛ فلا (الأردن أولاً) ولا (تونس أولاً) ولا (مصر أولاً)، بل إن الأمة اليوم تقول بملء فيها: إن العقيدةَ أولاً، والجهادَ أولاً، بل إننا نستطيع القول: إن الأمة اليوم لا ينقصها إلا خليفة يمثل النظام الذي لم تعرف الأمة غيره في تاريخها، وهو نظام الخلافة الذي

أجهز عليه الكافر المستعمر قبل مائة سنة وتزيد، وظن أنه بتقسيم الأمة حارات قد مزق أفكار الأمة، ومشاعرها، وقضى على كل مظاهر الوحدة والنهضة فيها!!

ولما كانت حرب غزة تفاجأ الكافر، وأذنابه، ومطاياه بأن الأمة لم تمت، وأنها ما زالت أمة حية، ولا ينقصها إلا من يأخذ بيدها حتى تعاود الحكم بالإسلام، وتقيم الخلافة، وتسير خلف أمير المؤمنين؛ فتقتلع ليس فقط يهود من فلسطين، بل تطهر كل بلاد المسلمين من الكفر، ورجسه فتعود الأرض سيرتها الأولى، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾.

سادسا: رفع مستوى الحقد، والنقمة من الشعوب الإسلامية على أنظمتهم العميلة التي تحمي كيان يهود، فلقد كشف القناع عن الوجه الحقيقي لهذه الأنظمة بأنها أنظمة عميلة قرارها مرهون بما تطلبه دول الكفر منها، وكذلك هم من يحمون كيان يهود، وهم من يزودونه بالسلاح والعتاد لقتل المسلمين في فلسطين، ورحم الله تعالى الشيخ تقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير حيث قال قبل ستين عاماً: "إن (إسرائيل) ظل الأنظمة، وإذا زال الشيء زال ظله"!

فإن هذه الفجوة بين الشعوب وحكامها، كان بيانها وإظهارها للناس هدفاً من أهداف حزب التحرير، عمل الحزب، واشتغل عليها كثيراً من أجل زعزعة ثقة الأمة بهذه الأنظمة العميلة؛ لأخذ قيادة الأمة، فهذا الحدث العظيم، وغيره من الأحداث التي مُعِسَتْ بها الأمة كانت عوناً للحزب في زيادة هذه الفجوة؛ ما يساعدنا في التفاف الأمة حول مشروعنا.

سابعا: إن توحيد مشاعر الأمة سيكون بإذن الله مقدمة لتوحيد كيانها السياسي، فخروج الأمة من أطراف المحيط الهادئ حيث إندونيسيا شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي حيث المغرب غرباً، إلى كازاخستان شمالاً إلى موزمبيق جنوبا، كل ذلك يكشف حقيقة وحدة الأمة الإسلامية، وأنها أقرب للوحدة السياسية في دولة الخلافة، والتي أصبحت قاب قوسين أو أدنى بإذن الله تعالى!!

ثامنا: لفت أنظار الشعوب الغربية لجرائم كيان يهود الذي لا يميز بين رضيع وطفل، وشيخ، وامرأة. فإن جرائم كيان يهود أظهرت الوجه الحقيقي للشعوب الغربية عن طبيعة هذا الكيان المغتصب الذي أظهر قوته على الأطفال الرضع، والشيوخ والنساء، ودفعتهم غريزة البقاء بأن يخرجوا إلى الشوارع بأعداد هائلة؛ للتنديد بهذه المجازر التي يرتكبها كيان يهود، بل، وطالب بعضهم بتقديم نتنياهو بوصفه مجرم حرب، فتم كسب الرأي العام لهذه الشعوب لصالح أهل فلسطين، وإن كنا لا نعول على الغرب؛ لقول الله تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾، ولكن هي من أعمال الرأي العام ضد هذا الكيان حتى لا يأسف عليه أحد عند دحره وكنسه، وإخراجه من الأرض الطاهرة المباركة.

تاسعا: لقد تم الكشف الحقيقي للأنظمة الغربية التي تتغنى بحقوق الإنسان، والطفولة، والحيوان؛ لنجد أنها عندما تتعلق بالمسلمين، فإنه لا حقوق لهم تذكر، وكذلك كشف حقيقة مؤسساتهم الخبيثة كمجلس الأمن، والأمم

المتحدة، ومؤسسات عملائهم كمجلس التعاون الخليجي والعربي، وهيئاتهم الدولية الكاذبة كجامعة الدول العربية، والإسلامية، وغيرها التي وقفت صامتة أمام هذه المجازر التي لم يُرَ لهَا مثيل.

عاشرا: أدرك الناس أن قضية فلسطين هي قضية احتلال عسكري، وهذا الاحتلال لا يزيله التبرع بالمال لأهل فلسطين، ولا الدعاء لهم، ولا مسيرة، واعتصام هنا وهناك، لا يزيله إلا قوة عسكريةٌ أيديها متوضئة، وجباهُهَا سَاجِدَة لله، عقيدتها القتالية جهاد واستشهاد حتى تكون كلمة الله تعالى هي العليا، حيث شاهدنا أنه أصبح حديث الناس عن الحل الحقيقي لإنهاء هذا القتل، وذلك بوجوب تحريك الجيوش، وإن هذه الوسائل التي أتت بها الحكومات كالمقاطعة، ودفع التبرعات، وصلاة الغائب، والسماح للخطباء بالدعاء بنصر حماس، والسب والشتم على يهود، ما هي إلا تنفيس لمشاعر الأمة، ولطمس الحل الصحيح، والتستر على تخاذل الحكام الأنذال!!

حادي عشر: وهو الأهم لنا بوصفنا حملة دعوة، وهو استشراف الواقع الذي ستكون عليه دولة الخلافة عند إعلانها، وهي العظمة، والهيبة التي ستملأ قلوب العباد، كيف لا، وهي من ستقتص لهم من هؤلاء الكفرة الفجرة الذين تطاولوا على كرامة المسلمين، وأعراضهم، وديارهم، وثرواتهم، وكذلك نستشرف الخوف والرهبة التي ستملأ قلوب الكفرة من الأنظمة الغربية، وخوفهم من أن يقدموا على أي فعل ضد هذه الدولة، خصوصاً وأن لهم تجربة سابقة مع أبناء المسلمين، ومقاتليهم في أفغانستان، والعراق، وسوريا، وغزة الآن؛ مما يجعلها تفكر، وتحسب ألف حساب وحساب قبل أن تخوض مع دولة الخلافة حرباً!!

ثاني عشر: لقد أصبحنا على يقين أن التقدم العسكري والتكنولوجي، والدعم الأمريكي والأوروبي، لا يساوي شيئاً أمام إرادة وعزيمة المقاتلين، فها هي خلال أسابيع عدة لم تستطع حتى هذه اللحظة معرفة منطقة إطلاق الصواريخ، بل ثبت فشل القبة الحديدية أمام رشقات المجاهدين، والتي ثبت عدم فعاليتها في حماية يهود، وأنها لا تستطيع ردع سوى بعض الصواريخ، وليس كلها.

وأخيراً، وليس آخراً لا ننسى كيف كشفت هذه الحرب علماء السوء أصحاب الفضائيات الذين غابوا عن هذا الحدث العظيم؛ ليظهر خبثهم، وعدم صدقهم، وتقواهم مع الله تعالى.

هذا غيض من فيض، وهناك من الخير الذي لا يعلمه إلا الله وحده، ولكن نجزم أن الساعة لن تعود للوراء، وأن ما بعد هذه الحرب لن يكون كما كان قبلها. وأخيراً نسأل الله تعالى أن يجعل كيد يهود، ومن خلفهم في نحورهم، وأن يجعل تدميرهم في تدبيرهم، وأن ينصر أهلنا عليهم. والحمد لله رب العالمين.

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

محمد الفقهاء (أبو بكر)